الدعاء والتضرع في الفتن

الضراعة إلى الله تعالى من أسباب كشف الغمة وتفريج الكربة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤].

وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بقوم مبتلَيْنَ، فقال: «**أما كان هؤلاء يسألون العافية؟!**»[(١)].

وكان الحسن البصري يقول: «إن الحجاج عذابُ الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وعند الفتن تطيش العقول، وتحتار النفوس فلا تدري ماذا تعمل؟ وفي هذا الموقف يغفل كثير من الناس عن سلاح عظيم كان عُدَّةً للأنبياء والصالحين على مر الزمان، ألا وهو الدعاء، قال تعالى عن نبيه نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر: ١٠، ١١] وقال عن نبيه ذي النون: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٣١٣٤- كشف الأستار)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢١٩٧).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**الدعاء هو العبادة**»(١).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»(٢).

ومن شأن الفتن أن تشتبه فيها الأمور، ويغمض وجه الحق ويلتبس على الجمهور، إلا من عصم الله ورحم، فمن أعظم أسباب النجاة منها الاعتصام بالله تعالى والاستغاثة به، ودعاؤه، فإنه -عز وجل- القائل في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**» الحديث(٣).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: بأي شيء كان نبي الله -صلى الله عليه وسلم- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: «كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (رقم ١٤٧٩)، والترمذي في الدعوات (رقم ٢٩٦٩)، والنسائي في التفسير من «السنن الكبرى» (رقم ١١٤٦٤)، وابن ماجه في «الدعاء» (رقم ٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان رقم (٨٩٠)، والحاكم في «مستدركه» رقم (١٨٠٢) (١/ ٤٩١، ٤٩٢).

(٢) رواه عبد الغني المقدسي في «الدعاء» رقم (٢٠) ص(٥٣-٥٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٦٠١).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٥٧٧)، والترمذي رقم (٢٤٩٧).

obeikandl.com

يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)].

فالهداية إلى الحق والاستبصار به وقت الفتن منحة ربانية، وهبة إلهية، قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وكان إبراهيم التيمي -رحمه الله تعالى- يقول: «اللهم اعصمني بدينك وسنة نبيك من الاختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبل الضلال، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ والخصومات».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «تكون فتنة لا ينجي منها إلا دعاءٌ كدعاء الغريق»[(٢)].

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: «ليأتين على الناس زمان، لا ينجو فيه إلا من دعا كدعاء الغريق»[(٣)].

وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يصلي من الليل حين نشب الناس في الفتنة، ثم نام، فأُرِيَ في المنام، فقيل له: «قم فسل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالحَ عبادِهِ»، فقام يصلي، ثم اشتكى، فما خرج إلا جنازة[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (رقم ٧٧٠).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٢، ٧/ ٤٥١، ٥٣١)، و«شعب الإيمان» (٢/ ٤٠).
(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٤).
(٤) «نفس المرجع» (١/ ١٧٨).

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: لما نشب الناس في الطعن على عثمان رضي الله تعالى عنه، قام أبي يصلي من الليل، وقال: «اللهم، قني من الفتنة، بما وقيت به الصالحين من عبادك»؛ قال: فما خرج إلا جنازة.[١]

وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: بينا رجل بمصر في بستان -زمن فتنة آل الزبير- جالسًا، كئيبًا، حزينًا، يبكي، ينكث[٢] الأرض بشيء معه؛ فرفع رأسه، فإذا صاحب مسحاة[٣] قد مُثِّل له، فقال: «ما لي أراك مهمومًا حزينًا؟» فكأنه ازدراه، فقال: لا شيء؛ فقال: «أبالدنيا؟ فإن الدنيا عَرَضٌ[٤] حاضر، يأكل منها البر والفاجر، أم بالآخرة؟ فإن الآخرة أجل صادق، يُفصَل فيه بين الحق والباطل؛ قال: حتى ذكر أن لها مفاصلَ كمفاصل اللحم، من أخطأ منها شيئًا أخطأ الحق» قال: فكأنه أعجبه بذلك من كلامه؛ قال: اهتمامي بما فيه المسلمون؛ فقال: «إن الله سينجيك بشفقتك على المسلمين، وسل، مَن ذا الذي سأل اللهَ فلم يعطه، أو دعا الله فلم يجبه، أو توكل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم ينجه؟» قال: فعلقت الدعاء، فقلت: «اللهم سلمني، وسلم مني»؛ قال: فتجلت الفتنة ولم تصب منه شيئًا.[٥]

---

(١) «نفس المرجع».

(٢) كذا بالأصل! ولعلها (ينكت) بالتاء، يقال: نكت الأرضَ: أثر فيها بعود أو نحوه، ويقال: أتيته وهو ينكُت: يفكر كأنما يحدث نفسَه.

(٣) المِسْحاة: أداة القَشْر والحرف.

(٤) العَرَض: متاع الدنيا وحُطامها.

(٥) «حلية الأولياء» (٤/٢٤٤).

التعوذ بالله تعالى من الفتن

أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه -رضي الله عنهم- بالتعوذ بالله من الفتن، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها ومن بطن**»[١]

وصح عنه -صلى الله عليه وسلم- التعوذُ بالله من كثير من الفتن:

- مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**وأعوذ بك من فتنة الدنيا**»[٢].

- وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**وأعوذ بك من فتنة الغنى**»[٣].

- وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**وأعوذ بك من شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**»[٤].

- وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[٥].

وقال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: «بَاب التَّعَوُّذِ مِنَ الفِتَنِ»، ثم روى حديث أنس -رضي الله عنه- قَالَ: سَأَلُوا النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالمَسْأَلَةِ، وفيه: «أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا باللهِ رَبًّا،

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (٤/ ٢٢٠٠) رقم (٢٨٦٧).
(٢) رواه البخاري (١١/ ١٧٨).
(٣) رواه البخاري (١١/ ١٨١).
(٤) رواه البخاري (١١/ ١٧٦).
(٥) رواه البخاري (١١/ ١٧٦).

وبالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، نَعُوذُ باللهِ مِنْ سُوءِ الفِتَنِ. . .» وقال أنس -لمَّا حَدَّثَ بالحديث- «عَائِذًا بالله مِنْ شَرِّ الفِتَنِ»[١].

وقال البخاري في «صحيحه»: وقال ابنُ أبي مُليكة: «اللهمَّ، إنا نعوذ بك أن نرجعَ على أعقابنا، أو نُفْتَنَ»[٢].

ولما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- عمار بن ياسر -رضي الله عنه- وهو يحمل لَبِنتين لبنتين أثناء بناء المسجد؛ أخذ ينفض التراب عنه، ويقول: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار**» قال عمار -رضي الله عنه-: «أعوذ بالله من الفتن»[٣].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «فيهِ دليلٌ عَلَى استحبابِ الاستعاذة من الفتن، ولو علم المرءُ أنه متمسكٌ فيها بالحق؛ لأنها قد تفضي إلى وقوع ما لا يرى وقوعه، قال ابنُ بطال: وفيه ردٌّ للحديث الشائع: «لا تستعيذوا بالله من الفتن؛ فإن فيها حصادَ المنافقين». قلتُ: وقد سُئل ابن وهب قديمًا عنه فقال: إنه باطلٌ»[٤].

إذا اعتصم المخلوقُ مِن فتنِ الهوى بخالِقِهِ نجَّاه منهن خالِقُهْ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٦٧٨)، ومسلم رقم (٢٣٥٩).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣).

(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٦).

(٤) «نفس المرجع» (١/ ٥٤٣).

obeikandl.com

حكم تمني الموتِ في الفتنة

عن أبي بكرةَ -رضي الله عنه- أن رجلًا قال: يا رسول الله أيُّ الناس خير؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**من طال عُمُره، وحَسُنَ عملُه**»، قالوا: يا رسول الله، وأي الناس شر؟ قال: «**مَنْ طال عُمره، وساء عمله**»[(١)].

وعن عبد الله بن شداد قال: جاء ثلاثة رهط من بني عُذْرة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأسلموا، قال: فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**من يكفيني هؤلاء؟**» قال: فقال طلحة: أنا، قال: فكانوا عندي، قال: فضُرب على الناس بعث، قال: فخرج أحدهم فاستُشهِد، ثم ضُرِب بعث فخرج الثاني فيه فاستشهد، قال: وبقي الثالث حتى مات مريضًا على فراشه، قال طلحة: فرأيت في النوم كأني أُدخلتُ الجنةَ فرأيتهم، أعرفهم بأسمائهم وسيماهم، قال: فإذا الذي مات على فراشه دخل أولهم، وإذا الثاني من المستشهدين على أثره، وإذا أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي -صلى الله عليه وسلم-: فذكرت ذلك له، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**ليس أحدٌ عند الله أفضلَ من مُعَمَّرٍ يُعَمَّرُ في الإسلام لتهليله وتكبيره وتسبيحه وتحميده**»[(٢)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤٠، ٤٧-٥٠)، والدارمي (٢/ ٣٠٨)، والترمذي (٢٣٣١)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والبغوي من طريقين في «شرح السُّنَّة» رقم (٤٠٩٤)، ورقم (٤٠٩٥)، وقال: «هذا حديث حسن» (١٤/ ٢٨٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ١٨١) رقم (٣٥٤٢٦).

وعن طلحة بن عبيد الله؛ أن رجلين من بَلِيٍّ قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشدَّ اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستُشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم تُوُفي، قال طلحة: فرأيت في المنام: بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة، فأذِن للذي توفي الآخِرَ منهما، ثم خرج، فأذن للذي استُشهد، ثم رجع إليَّ فقال: «ارجع، فإنك لم يأنِ لك بعدُ»، فأصبح طلحة يحدِّث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وحدَّثوه الحديث، فقال:

«**مِنْ أَيِّ ذلِكَ تَعْجَبُونَ؟**» فقالوا: يا رسول الله! هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا، ثم استُشهد، ودخل هذا الآخر الجنةَ قبله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أَلَيْسَ قدْ مَكَثَ هذا بَعْدهُ سنة؟**» قالوا: بلى. قال: «**أَدْرَكَ رمضان، فصام، وصلَّى كذا وكذا من سجدةٍ في السُّنَّةِ؟**» قالوا: بلى، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**فما بَيْنَهُمَا أبعد ممَّا بين السَّمَاء والأرض**»[1].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لِضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا فليقل: اللهمَّ أحيني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**»[2].

---

[1] «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦)، رقم (٣١٧١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٩١).

[2] رواه البخاري (٥/ ٢٣٣٧)، رقم (٥٩٩٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٤)، رقم (٢٦٨٠).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ، ولا يَدْعُ به مِن قبل أن يأتيَه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عملُه، وإنه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلا خيرًا**»[(١)].

وعند البخاري: «**لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ: إما محسنًا فلعله أن يزدادَ خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يَسْتَعْتِبَ** [(٢)]»[(٣)].

فإن قيل: كيف -مع هذا- تمنى يوسف -عليه السلام- الموتَ في قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وكذا قالت مريم -عليها السلام-: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]؟

أجاب القرطبي -رحمه الله تعالى- في «تفسيره» إذ قال: «فكيف يقال: إن يوسف تمنى الموت والخروج من الدنيا وقطع العمل؟ هذا بعيد! إلا أن يقال: إن ذلك كان جائزًا في شرعه، وإما أنه يجوز تمني الموت والدعاء به عند ظهور الفتن وغلبتها، وخوف ذهاب الدين»[(٤)].

وقال في «التذكرة»: (قال الله تعالى مخبرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٥) رقم (٢٦٨٢).

(٢) الاستعتاب: طلب العُتْبَى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب.
قال الجوهري: «استعتب: طلب أن يُعْتَب؛ يقول: استعتبته فأعتبني؛ أي: استرضيته فأرضاني». اهـ. من «الصحاح» له (١/ ١٧٦).
وفي التنزيل في حق الكافرين: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤].

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢١٤٧) رقم (٢٦٨٠)، (٦/ ٢٦٤٤) رقم (٦٨٠٨).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٢٦٩).

قال قتادة: «لم يتمنَّ الموتَ أحدٌ نبيٌّ ولا غيره إلا يوسف، حين تكاملت عليه النعم، وجُمع له الشملُ، اشتاق إلى لقاء ربه عزَّ وجلَّ، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى﴾ الآية: [يوسف: ١٠١]». فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل.

وقيل: إن يوسف -عليه السلام- لم يتمنَّ الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام؛ أي: إذا جاء أجلي توفني مسلمًا، وهذا هو القول المختار في تأويل الآية عند أهل التأويل). اهـ[1].

أما مريم -عليها السلام- فقال القرطبي -رحمه الله تعالى- في «التذكرة»: و«أما مريم -عليها السلام- فإنما تمنت الموت لوجهين[2]:

أحدهما: أنها خافت أن يُظن بها الشرُّ في دينها وتُعَيَّر، فيفتنَها ذلك.

الثاني: لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والزور، والنسبة إلى الزنى، وذلك مهلك لهم، وقد قال الله -عزَّ وجل- في حق من افترى على عائشة -رضي الله عنها-: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]»[3].

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١/ ١١٦، ١١٧).

(٢) وزاد الماوردي على هذين الوجهين ثالثًا، وهو: لأنها لم ترَ في قومها رشيدًا ذا فراسة ينزهها من السوء، كما في تفسير الماوردي «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٤).

(٣) «التذكرة» (١/ ١١٧، ١١٨).

ذكر أدلة السُّنَّة على جواز تمني الموت إذا خاف على دينه من الفتن

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن الله -عز وجل- أنه قال: «سل» قلت: **«اللهم، إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ فِتنةً في قومٍ فتوفني غيرَ مفتونٍ، وأسألك حُبَّك، وحُبَّ من يُحبك، وحبَّ عملٍ يقرب إلى حبك»**[(١)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم»**.[(٢)]

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموتَ خيرًا من مباشرتها»[(٣)]. اهـ.

وعن محمود بن لَبيد -رضي الله عنه- مرفوعًا: **«اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموتُ خيرٌ للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلةُ المالِ أقلُّ للحساب»**[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٦٥)، وهو في «صحيح الترمذي» رقم (٢٥٨٢)، وانظر: «إرواء الغليل» (٣/ ١٤٧، ١٤٨).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٦) رقم (٨٣٥٧)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، واحتج به الحافظ في «الفتح» (١٣/١٣).

(٣) «التذكرة» (٣/ ١١٤١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٢٧، ٤٢٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٨١٣).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تقوم الساعة حتى يَمُرَّ الرجلُ بقبر الرجلِ، فيقول: يا ليتني مكانَه**[(١)]، [**ما به حُبُّ لقاءِ اللهِ عز وجل**[(٢)]]».

ويشهد لهذه الزيادة ما رواه أبو حازم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا بلفظ: «**يا ليتني كنتُ مكانَ صاحبِ هذا القبرِ، وليس به الدينُ، إلا البلاء**»[(٣)].

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «وكأن هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدينَ منه ومِن أكثر الناس، أو قللت الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، ولذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن، حتى قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «العبادة في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ[(٤)]». اهـ[(٥)].

وقال أيضًا -رحمه الله تعالى-: «وأما الحديث: فإنما هو خبر أن ذلك يكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدين، وضعفه، وخوفِ ذَهابه، لا لضُر ينزل بالمرء في جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦٠٥) رقم (٦٧٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٣١) رقم (١٥٧)، والإمام أحمد (٢/ ٢٣٦)، دون قوله: «ما به حب لقاء الله عز وجل».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٣٠)، وقال الألباني: «صحيح على شرط مسلم» كما في «الصحيحة» رقم (٥٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٠) رقم (٤٠٣٧).

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٢٦٨) رقم (٢٩٤٨).

(٥) «التذكرة» (٣/ ١١٤٢، ١١٤٣).

مما يحط به عنه خطاياه، ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله -صلى الله عليه وسلم-: (**اللهم، إني أسألك فعلَ الخيرات، وترك المنكرات، وحُبَّ المساكين، وإذا أردت** -ويُروى: **أدرت**- **في الناس فتنة؛ فاقبضني إليك غير مفتون**) رواه مالك[١]، ومثل هذا قول عمر -رضي الله عنه-: (اللهم، قد ضعفت قوتي، وكبرت سني، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مُقصِّر)، فما جاوز ذلك الشهرَ حتى قُبِض -رضي الله عنه- رواه مالك[٢] أيضًا». اهـ[٣].

وقال الألباني -رحمه الله تعالى-: «ومعنى الحديث أنه لا يتمنى الموت تديُّنًا وتقربًا إلى الله وحبًّا في لقائه، وإنما لِما نزل به من البلاء والمحن في أمور دنياه، ففيه إشارة إلى جواز تمني الموت تدينًا، ولا ينافيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ لضر نزل به...**»؛ لأنه خاص بما إذا كان التمني لأمر دنيوي كما هو ظاهر، قال الحافظ: «ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢١٨) رقم (٥٠٨)، والترمذي (٥/ ٣٦٦) رقم (٣٢٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٩) رقم (٢١٦) من حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٦٨) رقم (٣٤٨٤) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٩٧، ٩٨) رقم (٢٥٨٠).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٢٤) رقم (١٥٠٦)، وفي «الجامع» لابن أبي زيد ص(١٢٨) أن مالكًا قال: «ولا أرى عمر دعا ما دعا به من الشهادة إلا أنه خاف التحول من الفتن».

(٣) «التذكرة» (١/ ١١٨، ١١٩).

السلف، قال النووي: لا كراهة في ذلك، بل فَعَلَه خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-...»[(١)]. اهـ.

وفي كتاب «الفتن» من رواية عبد الله بن الصامت عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: «يوشك أن تمر الجنازة في السوق على الجماعة فيراها الرجل، فيهز رأسه، فيقول: ياليتني مكان هذا»، قلت: يا أبا ذر! إن ذلك لَمِن أمرٍ عظيم، قال: أجل[(٢)].

قال ابن وهب: وحدَّثني مالك قال: كان أبو هريرة -رضي الله عنه- يلقى الرجل فيقول له: «مت إن استطعت»، فيقول له: لِمَ؟ قال: «تموت وأنت تدري على ما تموت، خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ما تموت عليه»[(٣)].

وأخرج الحاكم من طريق أبي سلمة قال: عدت أبا هريرة، فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: «اللهم لا ترجعها، إن استطعت يا أبا سلمة فمت، والذي نفسي بيده ليأتين على العلماء زمانٌ الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، وليأتين أحدُهم قبر أخيه، فيقول: ياليتني مكانه»[(٤)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «إذا رأيتم ستًّا فإن كانت نفسُ أحدِكم في يده، فليرسلها؛ فلذلك أتمنى الموتَ، أخافُ أن تدركَني:

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٠٠) رقم (٥٧٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣/٧٦).

(٣) «التذكرة» (٣/ ١١٤١).

(٤) «فتح الباري» (١٣/٧٦).

إذا أُمِّرتِ السفهاء، وبيع الحُكْمُ، وتُهُوِّنَ بالدم، وقُطعت الأرحام، وكَثُرت الجلاوزة[١]، ونشأ نشء يتخذون القرآن مزامير»[٢].

ورُوي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «سيأتي عليكم زمانٌ، لو وجد أحدُكم الموتَ يُباعُ، لاشتراه».

وقد قيل:

وهذا العيشُ ما لا خير فيه ألا موتٌ يُباع فأشتريه

وعن عبد الرحمن بن عمر قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، وسُئل عن الرجل يتمنى الموت؛ قال: «ما أرى بذلك بأسًا: إذ يتمنى الموتَ الرجلُ، مخافة الفتنة على دينه؛ ولكن: لا يتمنى الموت من ضربة أو فاقة، أو شيء مثل هذا»؛ ثم قال عبد الرحمن: «تمنى الموتَ أبو بكر وعمر ومَن دونهما»؛ وسمعته ونحن مقبلون من جنازة عبد الوهاب؛ فقال: «إني لأشم ريح فتنة، إني لأدعو الله أن يسبقني بها»؛ وسمعته يقول: «كان لي إخوان، فماتوا ودُفِعَ عنهم شَرُّ ما نرى، وبقينا بعدهم؛ وما بقي لي أخ، إلا هذا الرجل يحيى بن سعيد؛ وما يُغْبَطُ اليوم: إلا مؤمن في قبره»[٣].

* * *

(١) الجَلاوزة: الشرطة، مفردها: الجِلواز: الشرطي، كما في «القاموس المحيط» مادة (جلز) (٢/ ١٧٥).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤)، «البداية والنهاية» (٨/ ١١٣).

(٣) «نفس المصدر» (٩/ ١٣).

obeikandl.com

وهذا آخر ما قصدت جمعه في هذا الكتاب، بمعونة الملكِ الوهاب، سائلًا الله عز وجل أن يجنبنا مُضِلَّاتِ الفتن، وأن يعصِمنا من المِحَن، وأن يغفر لنا ذنوبنا التي جنيناها في السر والعلن، والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com